المسرح البابلي، تأريخه وطرازه وخصائصه "دراسة تاريخية مقارنة"

Babylonian theater (Its history, models and properties) a historical comparative study

محمد صبري صالح
Mohammed sabri saleh

الخلاصة

يعد بناء المسرح البابلي أحد الأبنية المميزة، التي بقيت اساساتها صامدة في مواجهة التغيرات الجغرافية وتعرية التربة، والمياه الجوفية التي هددت كل اثار بابل تقريبا، وبالرغم من دمار الهيكل الخارجي للبناء قامت مديرية الاثار العامة بالتنقيب عن تلك الاساسات، أي الخريطة الأرضية، ومن ثم تم اكمال المبنى بطابوق حديث فوق المخطط الأصلي، وعند دراسة المبنى واجزاءه والاساسات، اتضح بان المبنى فريد من نوعه بالمقارنة مع مباني العالم القديم ارجاء العراق، وكذلك في أماكن أخرى شهدت مباني مماثلة، في الاردن وفي شمال افريقيا مثل مسرح (لبدة)ومسرح (صبراته) التي بناها الرومان في ليبيا، إضافة الى ذلك ، برزت إشكالية اثبات المشيد الحقيقي لمبنى المسرح البابلي، اذ لا توجد وثيقة تأريخه تنسب المبنى لجهة او شخص، ولمواجهة هذه الإشكالية قام الباحث بمراجعة الوثائق التاريخية التي يمكن ان تشير الى ذلك، بالإضافة الى اجراء مقارنة معمارية وسيسيولوجيا لمبنى المسرح البابلي، مع مسارح اغريقية ورومانية كانت معروفة ومشيدة في فترات متزامنة مع تشييد المسرح البابلي، لمعرفة الاختلاف والتشابه بينها.

اعتمد الباحث المنهج المقارن والوصفي في التحليل، مستندا على وثائق تاريخية، بغية التوصل الى استنتاجات منطقية، تبدد تلك الشكوك وتحل إشكالية الموضوع.

ان اهم ما توصل اليه الباحث ان مبنى المسرح البابلي له وجود يسبق دخول الاسكندر المقدوني الى مدينة بابل، بالإضافة الى تفرد وخصوصية هذا المبنى، وعدم وجود تشابه كامل بينه وبين مباني المسارح الاغريقية والرومانية.

Abstract

The building of the Babylonian theater is considered as one of the distinctive buildings where its foundations have remained steadfast in the face of geographical changes, social's erosion and groundwater that threatened almost all traces of Babylon despite the destruction of the outer structure of the building. The general directorate of antiques performed

prospection for those foundations (the ground map), and then the building was completed by new bricks over the original scheme. It became clear when examining the building; its components and foundations, that the building is unique in comparison with the old buildings of the world throughout Iraq. There are similar buildings in other places like Jordan and North Africa such as *Leptis Magna's theater* and *Sabratha's theater* which were built by the Greeks in Libya. A confusion has been emerged about the real builder of the theater where there is no document dated whether the building attributed to a company or a person. To manage this problem, the researcher reviewed the historical documents that could refer to that case. Moreover, he conducted an architectural and sociological comparison between Babylonian theater and the Greek and Roman theaters which were known and built in synchronized intervals with the creation of the Babylonian theater in order to know the differences and similarities between them.

The researcher used descriptive and comparative method in the analysis, based on historical documents in order to reach logical conclusions that may dispel those doubts and solve the problem.

The most important findings were the existence of the Babylonian theater building before entering Alexander the Great to the city of Babylon, the uniqueness and specificity of this building and the lack of full similarity between Babylonian theater and the Greek and Roman theaters.

مشكلة البحث والحاجة إليه:

بدأ عصر الزراعة في وادي الرافدين في الألف التاسع قبل الميلاد ثم تطور في العصر الحجري الحديث وبدأ فجر الحضارة في الألف الخامس قبل الميلاد. إن نشوء الحضارة الناضجة في بلاد الرافدين سار بخطوات ثابتة وبأطوار متعاقبة.

شهد العراق خلال هذه الأطوار اتساع الزراعة وبداية الحياة الحضرية ونشوء أول مدنية في تاريخ البشرية، وعرف بناة الحضارة فن التعدين واخترعوا دولاب الخزاف وصنعوا الآجر المفخور والعربة ذات

العجلة وكذلك المحراث فضلا عن السفن الشراعية وعرف في أوائل تلك الأطوار أيضا فن النحت، وظهرت كذلك المباني العامة كالمعابد حيث كثرت وازدادت أهميتها منذ طور (العبيد). وعرف طور الوركاء (3500 ق.م.) بالعهد الشبيه بـ(الكتابي)، ومن المعروف أن الكتابة قد أرسيت قواعدها تماما خلال الطور الذي أعقبه وهو (جمدة نصر) في حدود سنة 3000 ق.م.

ثم بدأ عصر فجر السلالات في العراق في حوالي سنة 2800 ق.م. واستمر لمدة ستة قرون والذي يعرف أيضا بالعصر السومري القديم أو بعصر دويلات المدن، ويقسم العلماء هذه الحقبة الزمنية من تاريخ العراق إلى ثلاثة عصور هي على التوالي:

فجر السلالات الأول (2800 –2700 ق.م.)

فجر السلالات الثاني (2700 2600 ق.م.)

فجر السلالات الثالث (2600 – 2400 ق.م.)

من الأمور المتفق عليها بين غالبية العلماء المختصين في العصر الحاضر، أن السومريين هم سكان العراق الأصليون، وكانت أراضيهم تمتد جنوبا إلى جزيرة دلمون (البحرين) في العصر الحاضر، قبل أن ترتفع مناسيب الخليج العربي ليصل إلى حدوده الحالية. (12)

ان المدنية السومرية هي أقدم المدنيات الإقليمية التي نمتلك وثائق تتعلق بها وهي أيضا الوحيدة التي يمكننا التأكيد بأنها قد تطورت عن مجتمع او مجتمعات ما قبل المدنية والتي لم تنتقل عن أي مجتمع شبيه بها كان قائما قبل ذلك، بل ولم تكن نتيجة إيحاء من أي مجتمع من هذا النوع كما أكد (ارنولد توينبي).(5،ص77)

في فجر السلالات الأولى ازدهر فن العمارة، وتجسد في بناء القصور والمعابد والمباني الضخمة، كما تطور فن النحت وتمثل في تماثيل الآلهة. في العصر البابلي الذي مر بثلاث مراحل (القديم والوسيط والحديث) حدث تطوّر مهم في العلوم والمعارف البشرية، حيث انتقلت من أطوارها العملية إلى طور التدوين، بحيث يصح أن تكون بداية ظهور العلوم البشرية الحقة في هذا العصر. ليس هذا فحسب بل إن الحضارة من بلاد الرافدين قد أخذت طريقها في العصر البابلي القديم إلى جميع أنحاء المشرق وإلى أطراف العالم القصية.

آخر العهود الزاهرة في العصور القديمة كان بين (626-539ق.م.). ويعد حكم (نبوخذ نصر الثاني) (604-562ق.م.) فترة انتعاش قوية عاشتها الحضارة البابلية، فقد سجلت الكتابات التي خلفها هذا الملك أخبار البناء والتعمير في جميع مدن العراق المهمة، ومن جملة إنجازاته بناء (الزقورة) وتشييد عدد كبير من المعابد الفخمة في بابل، و إقامة شارع رائع عرف بشارع الموكب، ومدخل مهيب ضخم يدعى باب

عشتار، يقع وراء هذا الباب قصره الفخم بجنائنه المعلّقة، الذي عرف في المصادر اليونانية بإحدى عجائب الدنيا السبع.(12)

الا ان تلك الانجازات الحضارية المختلفة تعرضت في فترات تاريخية عديدة، الى التدمير تارة او الى تاثير العوامل البيئية المختلفة تارة أخرى، مما فقدت الكثير من مواصفاتها ومعالمها، كما ان الكتابات التي وثقت تلك المنجزات، الرقم والألواح الطينية اما فقدت او سحقت تحت سنابك خيول الغزاة او نهبت، ونتيجة لفقدان تلك الوثائق أصبحت العديد من الصروح العمرانية مجهولة التاريخ والهوية، وتعرضت الى الترجيح من قبل الباحثين في تحديد تاريخها ونشأتها، ومن بين تلك المعالم البارزة التي اكتشفت في مدينة بابل، مبنى المسرح البابلي الذي قام الألمان بالتنقيب عنه، ولقد اثار هذا البناء كثيرا من الجدل والتساؤل:

من الذي قام بتشييد المبنى؟، وما هي الوظيفة الفنية والرياضية له؟، ولماذا يختلف طرازه المعماري عن مسارح العالم القديم؟، والأمر الذي أثار الحيرة أكثر، عدم وجود وثيقة تاريخية واضحة، تثبت بصورة قاطعة تاريخ هذا البناء او العصر الذي شيد فيه، ومن الذي قام بتشييده.

ان المصادر التي اهتمت بهذا المبنى نسبته الى الاسكندر الكبير، ولكن تلك المصادر اعتمدت الترجيح وليس اليقين والإثبات والبرهان في تلك الفرضية، ويعتقد الباحث ان هذه المسالة تعد مشكلة حضارية وإشكالية معرفية بحاجة الى دراسة علمية، تسعى للإجابة عن التساؤلات التي أثيرت حوله، بالحجة المنطقية والبراهين الأثرية والمقارنات العلمية الدقيقة، وفي ضوء ذلك يمكن تحديد مشكلة البحث بالسؤال الآتي:

متى بني المسرح في مدينة بابل، ومن الذي قام بتشييده، وما هي الخصوصية المعمارية والوظيفية لهذا المبنى؟، وهل المبنى غريب ام متأصل عن حضارة العراق القديم؟

هدف البحث:

يهدف البحث الى الكشف عن فترة تشييد مبنى المسرح البابلي وتعرف خصائصه ووظيفته الثقافية.

أهمية البحث:

يسلط البحث الضوء على تاريخ إنشاء مبنى المسرح في مدينة بابل وطرازه المعماري ووظيفته وخصائصه وهو يفيد الدارسين والمتخصصين والمهتمين بالطرز المعمارية للمسارح في العالم القديم، وكذلك فانه يقدم إضافة معرفية جديدة عن هذا المبنى الفريد من نوعه في طرازه ووظيفته من خلال مقارنته بالمسارح الإغريقية والرومانية وحتى المسارح التي شيدها الاغريق في بلدان عديدة.

منهج البحث:

اعتمد الباحث المنهج التاريخي في التحقق من الوثائق والشواهد الأثرية، وكذلك المنهج المقارن

من خلال إجراء مقارنة بين المسرح البابلي والمسرح الإغريقي والروماني.

الإطار النظري

المسرح البابلي:

يعد المسرح في مدينة بابل، أثرا فريدا بين آثار حضارة العراق القديم لما يتميز به من مواصفات خاصة من الناحيتين المعمارية والفنية، وإذا كان من السهل معرفة تلك المواصفات فانه من الصعب تحديد (المشيد)الحقيقي لهذا الأثر وتاريخ تشيده، ولقد تباينت المصادر في تأشير ذلك، فذكرت بعض المصادر بان (الاسكندر الكبير) هو الذي قام بتشييده، في حين ذكرت مصادر أخرى بان شخصا يدعى (ديسكرايدز) هو الذي قام بتشييده، ويبدو انه لم يعثر حتى الآن على أي وثيقة تاريخية تثبت او تحدد بصورة قاطعة تاريخ المسرح، باستثناء وثيقة تعود الى العهد السلوقي والذي يعقب عهد الاسكندر، فقد عثر المنقبون الألمان على كتابة يونانية بين أنقاض هذا البناء تشير الى ان (ديسكرايدز) قد بنى الملهى والمسرح ،وتشير الكتابة المذكورة ايضا الى ان تعميره قد تم في العهد السلوقي .(18،ص94)

ولم تتطرق هذه الوثيقة الى صلة الاسكندر بهذا المبنى الا ترجيحا وورد انه

"من المرجح كثيرا ان البناء كان قد شيد في الأصل في عهد الاسكندر الكبير"(18، ص94)

وهناك مصدر آخر ذكر بان المسرح في مدينة بابل كان قد شيد في الأصل في عهد الاسكندر الكبير، وان الكتابة اليونانية إنما تشير الى تعميره في عهد متأخر في العهد السلوقي. (17، ص26)غير ان هذا الاتفاق لا يقود إلى اليقين في تحديد تاريخ المبنى الحقيقي، وكما يبدو فان المصادر اعتمدت الترجيح في تنسيب بناء المسرح الى الاسكندر الكبير، وربما لهذا السبب ايضا التزمت تلك المصادر بتسمية المبنى - المسرح الإغريقي- وفقا الى الكتابة اليونانية.

مخطط المسرح البابلي:

يتألف مبنى المسرح البابلي من ثلاثة أجزاء رئيسة هي:

1-مبنى (البلاسترا) 2-المسرح 3-مدرجات المتفرجين. وكل جزء له تفاصيله الخاصة طبقا للوظيفة التي تحققه، وفيما يأتي شرح كامل عن كل جزء فيه. (**شكل 1**)

مبنى البلاسترا:

البلاسترا هو ملعب عبارة عن ساحة مربعة الشكل تحف بها سلسلة من الاعمدة، وعلى أطرافها الأربعة يوجد عدد من الممرات والمرافق المتعددة، وفي الضلع الشمالي من البلاسترا يوجد صف من سبع غرف، ويبلغ طول ضلع هذا الجناح 40م، ابتداء من الضلع الداخلي للجناح الغربي، وجميع مداخل الغرف تطل على البلاسترا، باستثناء كل من الغرفتين الجانبيتين، حيث يوجد لكل منهما مدخلان احدهما الى الخارج والآخر الى الداخل، اما في الجناح الغربي فهناك 12 اثنتا عشر غرفة، وجميعها

متساوية في المساحة تقريبا، ويبلغ طول هذا الجناح 70م، والغرفة الشمالية من الضلع الغربي متقدمة عن الضلع الشمالي من البلاسترا باتجاه المسرح، كما توجد غرفة طولية تقع خارج الضلع الغربي، اما الضلع الشرقي فانه مكون من 14 غرفة، وفي الضلع الجنوبي توجد ثلاث قاعات كبيرة الحجم تتقدمها ثلاث فسحات على شكل طارمة، وفي القاعة الوسطية من هذا الضلع يقع المدخل الرئيسي لمبنى البلاسترا، وأمام هذا المدخل بقايا أسس جدارين يشكلان جناحين للمدخل الرئيسي لعلهما يمثلان بقايا درج او مصطبة أمام المدخل المؤدي إلى البلاسترا، والغرفة الوسطية هي الغرفة المركزية(13,90×6,45)، ويوجد في ضلعها الشمالي مدخل يفضي إلى الطارمات الوسطية عرضه 2,85م، واستظهرت التحريات عند الضلع الشمالي الغربي غرفة مستطيلة الشكل أبعادها 9,80×12,15 ،وهي ملاصقة للبناء الأصلي ومتأخرة عنه (18،ص94-96)

مدرجات المتفرجين: تشكل المدرجات جزء مهما من مبنى المسرح البابلي، وهذه المدرجات استنادا إلى التخطيط الذي وصفه المنقبون الألمان كانت تتألف من ثلاث مراحل، المرحلة الأولى تشمل 6 مدرجات للجلوس، أما المرحلة الثانية فتتألف من تسع مدرجات للجلوس، بينما تتألف المرحلة الثالثة من 12 مدرج ،وبين كل مرحلة وأخرى من مراحل المدرجات ممشى بعرض 1،92 ،واستنادا إلى التنقيبات الأثرية فان المدرجات الأمامية كانت مشيدة باللبن(طوب من الطين) وغلفت بالآجر، وفي الغالب كان التشييد من الآجر المستخرج من نفس أبنية المدينة، حيث وجد على قسم منها ختم الملك نبوخذ نصر(18،ص94)

وهناك جدار سميك من اللبن يسند هذه المدرجات من الخلف. بناية خشبة المسرح: هذه البناية هي الجزء الواقع بين مبنى البلاسترا ومدرجات المتفرجين، وتفصل (الباحة) وهي ساحة نصف دائرية بين المسرح والمدرجات في مقدمة المسرح، وبمواجهة المدرجات يوجد صف من اثني عشر عمودا، كل عمود مستطيل الشكل وواجهته نصف دائرية ومبنية بالآجر، ويعتقد المنقبون الألمان ان الفسحة بين كل عمود وآخر كانت مغطاة بالحجر الأبيض المسطح، كما ان هناك عمودين مستطيلين يقعان في كل من جناحي المسرح، وهما مشيدان أيضا بالآجر وواجهتها نصف دائرية كانت تفضي إلى خارج المسرح. (18، ص94) هذه هي الأجزاء الأساسية في البناء المعماري البابلي. ولغرض معرفة الأسباب التي دعت الى تسميته بـ(المسرح الإغريقي)، وبغية التوصل الى وظيفته الحقيقية، يجري الباحث مقارنة بين المسرح البابلي ونماذج من المسرح الإغريقي والروماني

الطراز المعماري للمسرح الإغريقي:

بدا الإغريق منذ القرن السادس ق.م بتشييد أماكن خاصة لتقديم الفعاليات المسرحية، وكانت تلك الأماكن هي النماذج الأولى التي تطورت فيما بعد واتخذت أشكالها التي اشتهرت بها، ويرى الباحث

ضرورة دراسة أهم النماذج للتوصل الى عناصر التشابه والاختلاف بين المسرح البابلي والمسارح الإغريقية. كان المسرح الإغريقي قبل تطوره نموذجا بدائيا بسيطا، ففي الحقبة المتوسطة من القرن السادس ق.م كانت توجد في الجانب الشمالي من الأكروبوليس، ساحة دائرية للرقص وبعض المقاعد الفجة وهي المسرح البدائي، ثم انتقل إلى جوار معبد (ديونيسيوس)،فقد دكوا ساحة مستديرة للرقص(اوركسترا)دكا شديدا، ثم أقاموا بعض المقاعد الخشبية فوق حدود التل المجوف، ولم تكن ثمة منصة عالية حتى ذلك الوقت .(4،ص51)المسرح الإغريقي إذن لم يكن في القرن السادس ق.م سوى ساحة رقص دائرية يحيط بها الجمهور، وظل هذا النموذج لسنوات طويلة قبل ان تظهر منصة التمثيل المرتفعة، حيث أنشا في الساحة الدائرية حاجز خشبي ذو أبواب تنفتح على منصة تعلو عن الأرض، وبإزاء الحاجز كوخ خشبي يستخدم من قبل الممثلين.

لم تتضمن النظم البنائية حتى القرن الخامس ق.م سوى الاوركسترا ومعبد ديونسيوس، وكان النظارة يتجمعون على سفح التل، ويفترض ان ممرا منحدرا او خندقا قد وفر طريقا لظهور الجوقة والممثل الأول على مرأى من النظارة ،وفي زمن(اسخيلوس)كان الممثل الثاني يظهر من هذا الممر وقد ارتدى ملابسه في كوخ خارج الأنظار، وكانت الاوركسترا مكانا مسطحا ومستديرا تؤدي الجوقة فيه تشكيلاتها ، اما خشبة المسرح فان منصة التمثيل فيها كانت بادئ الأمر من الخشب، ثم أخذت تشيد فيما بعد بالحجر ، والغريب ان ارتفاع (البروسكينون) بلغ اثنا عشر قدما، وكانت تحلى بأعمدة مربعة تلاصق الجدار على مسافات منتظمة، وتتخللها بانوهات مصورة ،ولم تشيد في أثينا منصة حجرية كاملة قبل العصر الهيليني، والجدار الذي استعمل كمؤخرة للمنصة فقد شيد في القرن الخامس ق.م.(21،ص22) وشهد تصميم المسرح الإغريقي تطورا نسبيا خلال القرن الرابع قبل الميلاد. (شكل3) حيث كانت الاوركسترا (ساحة الرقص) دائرية بشكل كامل والمذبح يكون وسط الأوركسترا. (22،32p) وفي مسرح(ابيداريوس) يوجد المذبح وسط الاوركسترا والممرات بين المدرجات (شكل 4) والمداخل الجانبية. (23 ،19p) وخلال القرن الرابع ق.م بنيت مسارح يونانية كثيرة، إلا أن المسرح الهلينستي الذي بدا في تصميمه وبنائه بعد منتصف القرن الرابع ق.م، هو المسرح الذي وصلنا وله معالم واضحة تمكننا من دراسته، وهو لا يختلف عن المسرح القديم. (2، ص98)

ويتكون هذا المسرح من الأجزاء الآتية:

1.الاوركسترا: وهي على شكل دائرة يقع في وسطها مذبح(ديونيسيوس).

2.مكان النظارة: مكان على شكل حدوة حصان وعبارة عن مدرجات لجلوس المتفرجين، ويوجد ممران جانبيان لدخول الجوقة الى الاوركسترا وكذلك لدخول المتفرجين.

3.الاسكينا: أي مكان المنظر وكان يوجد على مسارح القرن الرابع ق.م، وفي نهاية جانبي الاسكينا عمودان بارزان يعرفان باسم (بارسكينا).
4.البروسكينون: وهو بناء بسيط من الخشب او الحجر ارتفاعه يتراوح ما بين ثلاثة أمتار تقريبا. (10، ص28)

وفي زمن لاحق اعيد ترميم بعض المسارح من قبل الرومان، فأقاموا ببعض التغيرات على مسرح ديونيسيوس، حيث صارت الدائرة نصف دائرة، وبلطت أرضية الاوركسترا وأضيفت جدران حول الاوركسترا.

سار الرومان على منهج الإغريق في أسس التصميم المسرحي، كما أنهم أضافوا إلى فن العمارة نوعا من الهندسة المعمارية الزخرفية، لم تكن موجودة من قبل، وذلك بتصميم الأقواس التي تميز بها مسارحهم، و من الملاحظ ان الرومان لم يشيدوا مسارحهم على سفوح التلال كما كان الإغريق يفعلون، بل أقاموها على ارض مستوية، وذلك لكي تظهر فخامة المبنى وزخرفته من الداخل والخارج. (19، ص20). وهذه نقطة تباين واضحة بين المسرح الروماني والمسرح الإغريقي، فضلا عن ذلك تظهر الجدران العالية والاقواس والمداخل كما في الشكل (5). وهنالك نماذج لأبنية مسرحية بناها الرومان في أماكن مختلفة من العالم وهي تبرز الأسلوب الروماني في تصميم وبناء المسرح. المسرح الروماني في (اورانج) بفرنسا، هو أفضل ما موجود من آثار تم المحافظة عليه، ويعطي فكرة جيدة عن التفاصيل والارتفاعات للمسرح الروماني وهو تقليدي الطراز، وكان المسرح يغطى بسقف خشبي. (67p،22) وبنى الرومان مسارح أخرى مماثلة في شمال إفريقيا وفي مناطق أخرى مجاورة للعراق، فقد شيدوا عدة مسارح في الأردن، ففي مدينة (جرش) توجد ثلاث مسارح من بينها المسرح الجنوبي الذي " أنشا خلال القرن الأول الميلادي "(11، ص42)، وقد بناه الرومان خلال فترة حكمهم للمنطقة وهو لا يختلف عن تصميم المسارح الرومانية الأخرى الا بتفاصيل بسيطة وفي أبعاد أجزائه.

يتضح مما تقدم بان المسرح الإغريقي له مواصفات محددة ثابتة وان الأجزاء الأساسية فيها هي، (الاوركسترا، مكان النظارة، وخشبة المسرح) بقيت الى حد ما محافظة على تصميمها الأساسي في القرن الرابع ق.م، والنماذج التي تطرق إليها الباحث تعود اغلبها الى هذه الفترة، وعليه يفترض ان هذا النموذج هو الذي يحتذى بتصميمه في مدينة بابل، ذلك ان الاسكندر قد اتجه لاحتلالها في هذه الفترة، ولكن المسرح في مدينة بابل يبدو مختلفا في الكثير من أجزائه وتفاصيله، عن المسارح سالفة الذكر-الإغريقية والرومانية-كما يتضح لاحقا من خلال الدراسة المقارنة التي يجريها الباحث بينهما.

إجراءات البحث:

الدراسة التحليلية المقارنة

يجري الباحث في الصفحات اللاحقة، دراسة مقارنة بين الطراز المعماري للمسرح البابلي وبين الطراز المعماري للمسارح الإغريقية والرومانية، وتحليل الوثائق والشواهد الأثرية التي تتعلق بتاريخ إنشاء هذا المسرح.

المسرح البابلي والمسرح الإغريقي في القرن الرابع ق.م:

من خلال العرض الذي قدمه الباحث عن أجزاء المسرح البابلي وعناصره الأساسية، وكذلك النماذج المسرحية لاماكن العروض المسرحية عند الإغريق وعند الرومان، والطراز المعماري التي اعتمدوه في تصميم أبنيتهم المسرحية المتعددة، وفي حقب تاريخية متسلسلة ظهرت الفوارق والاختلافات الآتية:

1.ان باحة الرقص(الاوركسترا) في المسرح البابلي ليست دائرية كما في المسرح الإغريقي بل تتخذ شكل نصف دائرة وهي بذلك أقرب الى النموذج الروماني، ولكن الأهم من ذلك ان الاوركسترا في المسرح البابلي لا تحتوي على مذبح، في حين يشكل وجود المذبح أهمية بالغة في التصميم الإغريقي، كذلك لا تحيط بـ (الاوركسترا) جدار كما فعل الرومان في مسرح ديونيسيوس بعد ترميمه.

2. يتكون المسرح البابلي من أربعة أجزاء هي:

مكان النظارة، الاوركسترا، خشبة المسرح، ومبنى البلاسترا.

3.ان مبنى البلاسترا (الملعب)، وبكل تفاصيله وأجزائه غير موجود في المسارح الأخرى ويخص فقط الطراز المعماري للمسرح البابلي الذي ينفرد بهذه الإضافة.

4. ان مبنى البلاسترا ملاصق لمبنى خشبة المسرح وامتداد له وليس مفصولا عنه، وهذا المبنى جزء ملتحم ببناء المسرح وليس ملحق به، بحيث يبدو جزء مستقل بحد ذاته ولا علاقة له الا بالمجاورة فحسب.

ان المسرح البابلي يتفق مع المسرح الإغريقي والروماني في جزأين أساسيين، هما ساحة الرقص الدائرية ومكان النظارة ، غير ان ساحة الرقص هذه كشكل هندسي او مكاني لتقديم الفعاليات الفنية عليها لم تكن غريبة او جديدة في حضارة العراق القديم، فقد كشفت الرقم والألواح الطينية التي وصلتنا منها، بأنه "كانت عروض الرقص والسيرك في العراق القديم تقدم على مسرح دائري (الشكل 6)منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد"(6،ص43)، ومن الجدير بالذكر ان المسرح الإغريقي في القرن السادس ق.م، لم يكن أكثر من ساحة دائرية يحيط بها المتفرجين، وبذلك فان

ساحة الرقص الدائرية كانت معروفة في العراق القديم قبل معرفة الإغريق لها بما يقرب 1400 عام، ولم تكن مجرد ساحة بل مكان لتقديم الفعاليات الفنية فيها.

تاريخ إنشاء المسرح البابلي: النقطة الأولى في هذا الموضوع تتعلق بالوثيقة اليونانية التي عثر عليها المنقبون الألمان، والتي ذكرت بان (ديسكرايدز) قام ببناء المسرح في مدينة بابل، فهي لم تنل ثقة الباحثين نظرا لأنها تعود الى العهد السلوقي، وهو عهد متأخر عن عهد الاسكندر الكبير ، وهي اذن لا تثبت الباني الحقيقي للمسرح، وإنما تشير الى إعادة تعميره وليس إلى بنائه، النقطة الثانية تتعلق بدور الاسكندر الكبير ببناء المسرح ،هل ان الاسكندر الكبير هو الذي أمر ببناء المسرح في مدينة بابل؟ لقد رجحت المصادر-التي أوردها الباحث في هذا الشأن-ان المسرح البابلي تم تشيده في عهد الاسكندر، ولكن لابد من التحقق من هذه الفرضية قبل التسليم والقبول بها. بدءا لابد من تسليط الضوء على السنوات التي كانت فيها مدينة بابل تحت حكم الاسكندر، تشير المصادر بان الاسكندر لم يمكث فترة طويلة في مدينة بابل.

من سنة 332-331 ق.م قاد الاسكندر حملة على مصر ثم تركها وقابل جيش الفرس وهزمه، وسار في طريقه الى اربلا (اربيل)، وفي سنة 330 ق.م تعقب (دارا) ملك الفرس واخضع قزوين وسار متجها صوب الجنوب، وفي سنة329 ق.م سار الى (باكتريا) ولم يستطع التغلب على الايرانيين الا بصعوبة، وفي سنة 328 قتل الاسكندر صديقه (كليتوس)وهو في نشوة السكر وتزوج في نفس العام من (روكسانا) الفارسية، ومن سنة327-324 ق.م سار الاسكندر الى بلاد الهند لمحاربة (بوروس) ثم عاد الى المحيط الهندي، ثم اخترق صحراء جيد روسيا ثم سار الى سوسة سنة324 ،وحاول مزج الشعوب اليونانية والآسيوية فشجع ضباطه من الزواج من سكان البلاد، وفي سنة 323 ق.م مات الاسكندر.(15،ص164-167) كما ان الاسكندر بعد احتلاله مدينة بابل وجدها في حالة خراب شديد، ففكر بترميم المدينة وإعادة أبنيتها، الا ان الأضرار التي لحقت بمدينة بابل من سقوطها عام 539 قبل الميلاد على يد (كورش) الفارسي كانت جسيمة جدا، وان الأضرار التي نجمت من الثورات التي قامت بوجه (احشويرش) الذي قمعها وخرب المدينة، وكانت الأضرار بالغة بحيث أجبرت الاسكندر على ان يتخلى عن نواياه الرامية الى إعادة بناء الأبنية، على الرغم من رغبته الشديدة في ان يترك اثرا خاصا يبين فضله على بابل. (14، ص554-555) ، وفي هذه المسالة تنقسم المصادر الى اتجاهين، اتجاه يشير الى ان الاسكندر قد تخلى عن نواياه في تعمير مدينة بابل مثل (جورج كونتينو) واتجاه اخر يشير الى انه مات قبل ان يعمرها (فرينز كرسن ص11، اندريا بارو ص84، فرج بصمه جي ص68، مدرش ص67) ومع

ذلك فان النتيجة واحدة، وهي ان مدينة بابل لم تعمر خلال عهد الاسكندر فكيف اذن يبني مسرحا- كما تفترض مصادر الترجيح-في مدينة مخربة؟

افتراض يصعب قبوله، بين ان تكون المدينة مخربة وبين ان يبني فيها مسرحا. وإذا أردنا ان نسلم بان الاسكندر هو الذي امر ببناء المسرح في مدينة بابل، فهل من المنطق ان يسمح ببناء المسرح من طابوق يحمل ختم ملك آخر وهو (نبوخذ نصر)، ولقد أشار (محمد علي محمد سعيد) الى ان وجود ختم (نبوخذ نصر) على قسم من طابوق المدرجات الأمامية للمسرح البابلي اكتشفت من خلال التنقيبات. (18، ص94)

ويشير (هارولد لامب) أيضا، إلى أن الاسكندر عندما دخل مدينة بابل أول مرة، شاهد حيطان ضخمة عليها ابراج المعابد والقصور وذات الحدائق المدرجة، التي شيدت على سطوح ضخمة واسعة ويحمل اجر حيطان المباني الواطئة، ختم الملك البابلي (نبوخذ نصر). (20،ص221)

ويتضمن ختم الملك (نبوخذ نصر) على الطابوق، العبارة الآتية، " نبوخذ نصر ملك بابل، حامي ايسانكلا وايزادا الابن الاكبر للملك نبوبلاسر ملك بابل "، ويوجد نموذج من هذا الطابوق حاليا في متحف بابل في العراق.

وظيفة المسرح البابلي: ان خصوصية المسرح البابلي من الناحية المعمارية ناتجة عن خصوصيته في الوظيفة التي شيدت من اجلها، وهي خصوصية فرضتها البيئة من جانب والمجتمع العراقي القديم بكل مقوماته الدينية والثقافية والاجتماعية، فقد كان من الضروري لهذا التصميم ان يستوعب الاحتفالات السنوية التي كانت تقام في مدينة بابل وعند معاينة تصميم المسرح بدقة، يبدو ان هناك عنصرين معماريين بارزين فيه، وهما (ساحة الرقص الدائرية) ومبنى (البلاسترا) أي الملعب. ولكشف العلاقة بين الشكلين ينبغي العودة الى الاحتفالات البابلية، فقد كانت الاحتفالات تتضمن جانبين، جانب فني (رقص، غناء، موسيقى، تمثيل)، وجانب رياضي(مصارعة) بصور خاصة، والعاب رياضية أخرى، لذلك كان لابد من وجود مكان يخصص جانبا منه للفعاليات الفنية، وجانب اخر للفعاليات الرياضية، ولقد كانت عروض الرقص في العراق القديم تقدم على مسرح دائري منذ بداية الألف الثاني قبل الميلاد، اما نزال المصارعة فكانت تجري في احتفالات الربيع منذ الألف الثالث قبل الميلاد (7، ص12). وهذا ما يفسر كون التصميم البابلي يحمل هذه الخصوصية الفريدة من نوعها، والتي لا مثيل لها إطلاقا بين جميع المسارح القديمة الإغريقية والرومانية والمسارح التي بناها الرومان في المنطقة، مثل مبنى المسرح في مدينة مصراته (شكل7)، وحتى في مناطق أخرى من العالم، ان لمن الطبيعي لحضارة العراق القديم وليس من الغريب أبدا العثور على (أماكن) للاحتفال وأبنية خاصة للفعاليات، وبخاصة عند معرفة ان

أنشطة مسرحية ذات أهمية بالغة كانت تقدم أثناء تلك الاحتفالات الشعبية والرسمية خلال السنة وتتضمن تلك الفعاليات والأنشطة التمثيلية ما يأتي:

- تمثيل أسطورة التكوين او الخليقة، (ايغو ايليش، حينما في العلى)
- تمثيل أجزاء من ملحمة (جلجامش).
-تمثيل نص رثاء اور.
-تمثيل موت وقيامة الإله (مردوخ).

تعود جذور الاحتفالات السنوية في العراق القديم الى العهد السومري، حيث كانت تقام بمرحلتين، في الشهر السادس والثاني عشر- واستمرت عند البابليين باحتفال واحد بداية كل عام- وباستثناء الشعائر والطقوس ذات الطابع والغاية الدينية البحتة ،فان للطقوس الدرامية مساحة واسعة من الفترة المخصصة للاحتفالات ، يتم خلالها تمثيل موت وبعث الاله (مردوخ)، وكان الجميع يشارك في تلك الاحتفالات ابتداء من الملك ورجال الدين الى عامة الناس. وثمة إشارات عديدة في الالواح الطينية لمختلف الفترات التاريخية الى وجود أنشطة تمثيلية متعددة ، مثل نزول اينانا الى العالم السفلي، وتمثيل أجزاء من ملحمة (جلجامش)، ويمكن ببساطة تصور الجانب الفني الازم لتحقيق تلك الاحتفالات الضخمة، من حيث وجود عدد كبير من المؤدين، (نظرا لأعداد الشخصيات في تلك الاساطير)،ومستلزمات التقديم من قطع تتعلق بالمنظر والازياء التنكرية، والاهم هو اماكن العرض ،اذ ان هذه الفعاليات الغنية بالعناصر الفنية كافة، لا يمكن تصورها من دون وجود أماكن مخصصة للعرض والمشاهدة، ان حجم المشاركة الرسمية المتمثلة بالملك، والدينية المتمثلة برجال الدين، لا يدع مجالا لتجاهل حجم المشاركة الشعبية الواسع، وبالتالي لابد من وجود أماكن توفر المتطلبات الفنية من جهة ، ومن جهة أخرى تستوعب الاعداد الغفيرة من المشاهدين، لذا ليس من المنطقي التحدث عن فعاليات وانشطة وطقوس دينية كانت ام درامية، او رياضية مصاحبة لتلك الاحتفالات، وعلى مدى زمن يمتد لعشرات القرون المتتالية ، من دون التركيز على الاشكال المكانية التي احتضنت تلك الفعاليات المتنوعة.

ان فرضية وجود الاحتفال كأسبقية عن وجود المكان، أكثر احتمالا من الفرضية المعاكسة، أي اسبقية المكان على الاحتفال، حيث تشترك عوامل دينية وثقافية واجتماعية لتأسيس المكان، ولكن ليس قبل وجود الاحتفال وعلى مدى سنوات عديدة من الممارسة والتطوير والتغير.

وينطبق الامر على الاغريق، اذ ان الاحتفالات باعياد (ديونيسيوس)ظلت لسنوات طويلة تمارس قبل ظهور التراجيديا، وقد كانت (القصائد الديثرامبية) سردية بادئ الامر ثم تطورت منها التراجيديا، التي لا يعلم حتى ارسطوطاليس نفسه بالضبط ظروف نشاتها، ولكنه أشار الى انها مرت بفترات من التغير حتى استقرت على الشكل الذي بدا عليه في القرن الخامس قبل الميلاد.

يرى الباحث بان انشاء المباني ما كانت تتم من دون وجود حاجة فعلية لتنظيم انشطة او فعاليات معينة فيها، هكذا كان الحال عند الاغريق، فلم تبنى المسارح الا بعد ظهور المسرحية بشكلها الاولي في القرن السادس بعد ابتكارات (ثسبس) وظهور اول نص بحوار، ان عربة (ثسبس) الصغيرة تحركت وتوسعت فاستدعت مساحة اكثر اتساعا لعمل الجوقة واستيعاب عدد المشاهدين الذي راح يتزايد سنويا، كان المكان عبارة عن ساحة دائرية تحيط بها الجماهير بالقرب من السوق، ونظرا لارتباط الموضوع التراجيدي بالأساطير الدينية، فقد بدا الاغريق بتشييد مباني المسرح بجوار المعبد، ففي حين يعود تاريخ أماكن الاحتفالات المسرحية الى القرن السادس قبل الميلاد، فان الأنشطة والفعاليات المسرحية تعود الى قبل هذا التاريخ بفترة طويلة والا لماذا كان (ثسبس) يقدم مسرحياته في عربة ان كانت هناك امكان للعرض؟.

ما يريد ان يقوله الباحث ان نوع الفعالية او النشاط هو الذي يستوجب التشييد، تشيد ما يناسب تلك الفعالية تحديدا، بخاصة اذا كانت تلك الاحتفالات على مستوى عال من الناحية الفنية المسرحية، فهنالك إشارات كثيرة وردت من خلال الألواح والرقم الطينية، عن استخدام الأقنعة والملابس التنكرية من قبل الممثلين أثناء تلك الفعاليات، واشارات الى الممثلين حول طريقة الأداء والحركات والقاء التحية. ومن الجدير بالذكر انه كان يطلق على الممثل تسمية (كابيشو) وعلى الممثلة (كابشتو) كما ذكر فوزي رشيد، وما كانت لهذه التسميات ان توجد في ثقافة ما، ما لم تشر الى وظيفة او مهنة محددة، ومن دون ان تكون لها مرجعية ثقافية واضحة. أمام هذا الثراء الفني والقدرة على الابتكار، لا يمكن إنكار او تجاهل إمكانية تخصيص وتصميم أماكن لتلك الأنشطة والاحتفالات، التي كانت تشكل مظهرا ثقافيا ودينيا واجتماعيا بالغ الأهمية، وليس غريبا ان يكون مبنى المسرح البابلي أحد تلك الأماكن.

الاستنتاجات:

أولا: ان طراز المسرح البابلي من حيث التكوين الهندسي والمعماري ينفرد بخصوصية لا تشابه طرازيه المسارح في العالم القديم، سواء في بلاد الاغريق، او التي شيدها الاغريق في أماكن متفرقة أخرى، مما يعطي له وظيفة فنية وخصوصية تدلل على فكر إبداعي سواء في الشكل العام او المحتوى الذي كان يقدم عليه.

ثانيا: ان تفرد المسرح البابلي المعماري والوظيفي يؤكد أصالة وانتماء هذا المبنى الى البنية الثقافية والاجتماعية والفنية للمجتمع البابلي، قبل تعرضه الى التدمير الكامل من قبل الأقوام الغازية، مما تتطلب الترميم والتعمير والإضافة في الحقب اللاحقة.

ثالثا: إن وجود ختم الملك البابلي (نبوخذ نصر) يشير إلى ان المسرح البابلي له وجود سابق بوظيفة فنية ورياضية خاصة، وانه تعرض الى الترميم والإضافة من قبل الاغريق بعد احتلالهم مدينة بابل.

رابعا: إن ساحة الرقص الدائرية (الاوركسترا) هي فكرة عراقية أصيلة، باعتبارها شكلا هندسيا أوليا لتقديم الفعاليات الفنية عليها، وان السومريين هم أول من توصل الى استخدامها لأغراض احتفالية، وان فكرة وجود الساحة الدائرية والمشاهدين حولها، تدل على وجود نمط من المشاهدة شكلت العنصر الأساسي في البناء المعماري المسرحي.

خامسا: ان وجود فعاليات تمثيلية ورياضية (كالمصارعة)، يبرر الحاجة الى مكان مخصص لإجراء تلك الفعاليات والأنشطة الرياضية، والشواهد التاريخية اشارت بوضوح الى اسبقية وجود تلك الفعاليات على وجود المكان، وبالتالي لا يكون مبنى المسرح الذي خصص لتلك الأنواع من الأنشطة غريبا او مستعارا.

جدول الاشكال:

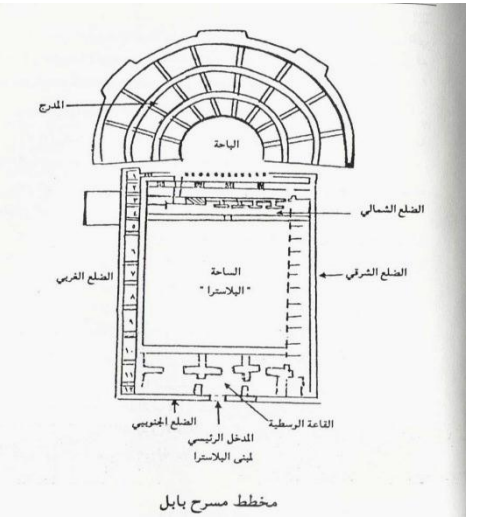

مخطط مسرح بابل

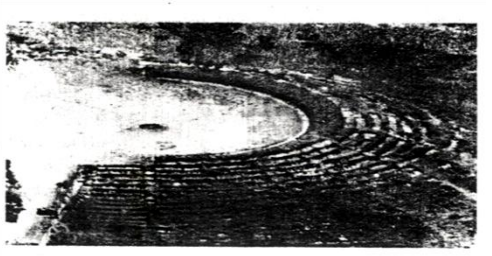

(شكل 2 المسرح الإغريقي في القرن السادس ق.م)

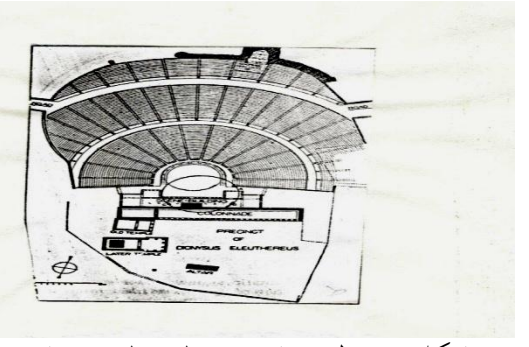

(شكل 3 A المسرح الاغريقي القرن الرابع ق.م)

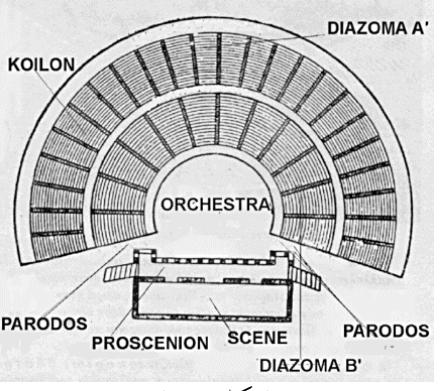

(شكل B3-)

شكل(4) مسرح ابيداريوس

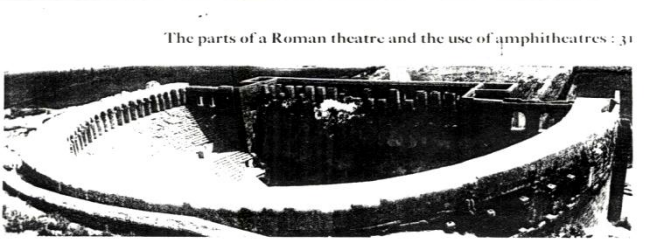

(شكل 5 المسرح الروماني)

ساحة الرقص الدائرية

شكل 6

شكل 7-المسرح في مدينة صبراتة

قائمة المصادر:

1- بارو، اندريه، برج بابل، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، بغداد، دار الحرية، 1979
2- بتري(آ)، مدخل إلى تاريخ الإغريق وآدابهم وآثارهم، ترجمة يؤئيل يوسف، الموصل، العراق، مؤسسة دار الكتب، 1977.
3- بصمة جي ، فرج ، كنوز المتحف العراقي ، بغداد ، مطبعة الحكومة ، 1980.
4- تشيني، شلدون، تاريخ المسرح في 3000عام، ترجمة دريني خشبه، القاهرة، مكتبة الآداب، 1963.
5- توينبي، ارنولد، تاريخ البشرية، ترجمة نقولا زيادة، ج1 ، بيروت ، الدار الأهلية ، 1985.
6- رشيد، فوزي، السيرك في العراق القديم، ألف باء، بغداد، عدد717، 23 حزيران، 1982.
7- ـ،ـ، مدخل الى العالم السفلي ، مجلة الأقلام ، بغداد ، عدد7، تموز ،1986.
8- الزبيدي، علي، المسرحية العربية في العراق، القاهرة، مطبعة الرسالة، 1967.
9- زعيري، إبراهيم، دليل متحف بابل، بغداد، دار الجمهورية، 1965.
10 -سكر، إبراهيم، اسخيلوس، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1972
11-العقيلي، محمد ارشيد، المسارح في مدينة جرش الأثرية، عمان، منشورات دار الثقافة، 12.1973- عبد العزيز حميد صالح، موجز تاريخ العراق القديم، شبكة الجزيرة،http://aljazeera.net
13-كريسن، فرينز، عجائب الدنيا في عمارة بابل، تعريب صبحي انور، بغداد، وزارة الإعلام، 1976.
14-كونتينو، جورج، الحياة اليومية في بابل اشور، ترجمة سليم طه، بغداد، دار الرشيد، 1979.
15-لانجر، وليم، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة محمد مصطفى، القاهرة، مكتبة النهضة، د ت.
16-مد رش، ايج، إيل، قصة الحضارة في سومر وبابل ، ترجمة عطا بكري ، بغداد مطبعة الرشيد ، 1971.

17-مديرية الآثار العامة، دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق، بغداد، مجلد 35، 1979.
18-محمد سعيد، محمد علي، المسرح الإغريقي، سومر، بغداد، مجلد 1979،35.
19-مليكه، لويس، الديكور المسرحي، القاهرة، الدار القومية، 1966.
20-لامب، هارولد، الاسكندر المقدوني، بغداد، د ت.
21-لافر، جيمس، الدراما أزياؤها ومناظرها، ترجمة مجدي فريد، المؤسسة المصرية للتأليف، 1963.
22- Robert , Vera mowry, On Stage ahistory of theatra , second edition, Newyork, Harper s Row ,publishers ,1974.
23- Richard, Theater and playhouse, newyork, by paber back 1985 .